

## فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الحادية والتسعين بعد الأربعمائة

استهلت هذه السنة: المستظهر بأمر الله، وملوك البلاد والأطراف  
على حالهم.

ذكر ابتداء ظهور الفرنج إلى بلاد الاسلام:

والكلام فيه أنواع:

الأول: في ابتداء خروجهم:

كان خروجهم أولاً بالمغرب، فخرجوا إلى بلاد الاسلام واستولوا عليها  
وفتحوا من المدن طليطلة وغيرها في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وملكوا  
جزيرة صقلية في سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وتطرقوا إلى أطراف افريقية  
فملكوها.

الثاني في مسيرهم إلى بلاد الشام:

لما كان هذه السنة - اعني سنة احدى وتسعين وأربعمائة - خرجوا إلى  
بلاد الشام، وكان سبب خروجهم أن ملكهم بردويل جمع جمعاً كثيراً من  
الافرنج لقصد الشام، ساروا إلى القسطنطينية ليعبروا الخليج فيكون  
أسهل عليهم من البحر، فلم يمكنهم صاحبها من العبور حتى شرط  
عليهم أنهم ان ملكوا انطاكية يعيدونها عليهم، وظن صاحب  
القسطنطينية أن الأتراك سيظهرون عليهم لشدة بأسهم، لأنهم ملكوا  
البلاد، فأجابوه إلى ذلك، فمكنهم من العبور، فوصلوا إلى بلاد قليج

أرسلان بن سليمان بن قتلмыш بن اسرائيل بن سلجوق، وهي قونية وغيرها، فقاتلوهم وهزموهم وعبروا إلى بلاد ابن ليفون الأرمني فسلكوها وخرجوا إلى انطاكية.

فلما سمع صاحبها ياغي سيان التركماني حصن البلد، وأخرج النصارى منها، فجاء الفرنج بالعدة والعديد حتى نزلوا عليها وحصروها أشد الحصار، وقاتلوها تسعة أشهر، وقتل من الفريقين جمع كثير، فلما طال مقام الأفرنج عليها، وكان بها شخص مستحفظ بعض الأبراج زراد يعرف بروزة، فبدلوا له مالاً واقطاعاً، وكان البرج يلي الوادي، وهو مبني على شبك حديد يجر منه في الشتاء ماء المطر، وأنه مكنهم من قلع ذلك الشباك ودخولهم، فصعد جماعة كثيرة في الليل، فلما أصبحوا أشهروا السلاح وهجموا على المسلمين فقتلوا وقتلوا، واما ياغي سيان فإنه قاتل ثم فتح الباب وهرب ومعه جماعة وتركها لهم، وسار منها كالولهان فنزل على أربعة فراسخ منها، وندم حيث لم يقتل عند أهله وعياله، فوقع مغشياً، فمات في تلك الساعة، وتركه أصحابه بمكانه وتوجهوا.

وفي تاريخ بيبرس: فمن شده مالق ياغي سيان سقط مغشياً عليه فأراد من معه أن يركبه فلم يكن فيه من المسكة ما يثبت على الفرس، فتركه مرمياً، واجتاز انسان أرمني كان يقطع الخشب بياغي سيان محمد ابن ألب أرسلان التركماني فعرفه وهو على آخر رمق، فقطع رأسه وحمله إلى الأفرنج بانطاكية.

وكان دخول الأفرنج أنطاكية في جمادى الأولى من هذه السنة، ووضعوا السيوف في المسلمين الذين بها ونهبوا أموالهم.

### الثالث في مكاتبة الأفرنج إلى المسلمين وتوجه المسلمين إليهم على أنطاكية:

ثم ان الأفرنج كاتبوا صاحب حلب ودمشق يقولون: اننا لانقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم، مكرراً منهم وخديعة، فلما بلغ ذلك كربوغاً صاحب الموصل جمع العساكر وسار إلى مرج دابق، وهو مرج واسع بالقرب من حلب من ناحية الشمال، واجتمعت إليه عساكر الشام وهم: رضوان بن تتش صاحب حلب، وطغتكين أتابك، وجناح الدولة صاحب حمص، وهو زوج أم الملك رضوان، فإنه كان قد فارق رضوان من حلب، وسار إلى حمص فملكها، وأرسلان صاحب سنجار، وسليمان ابن أرتق صاحب سروج وغيرها، وغيرهم من الأمراء والتركمان، وساروا إلى أنطاكية فحاصروها بالجميع حتى انحصر الأفرنج بها، وعظم خوفهم حتى طلبوا من كربوغاً ان يطلقهم فامتنع، ثم ان كربوغاً اساء السيرة مع الامراء وتكبر عليهم، فخبثت نياتهم عليه، وكان في أنطاكية بردويل وصنجيل، وكندھري، والقمص صاحب الرها، وبيمند صاحب أنطاكية.

ولما ضاق عليهم الامر وقلت الاقوات اجتمعوا وخرجوا من انطاكية واقتتلوا مع المسلمين، وكان الامراء الذين مع كربوغاً قالوا له: الصواب ان نحمل عليهم ونقاتلهم اولاً بأول، فقال لهم: بل تركهم إلى ان يخرجوا جميعاً ونحمل عليهم، فلما تكامل خروج الأفرنج ضربوا مصافاً فولى المسلمون منهزمين لما عاملهم به كربوغاً اولاً من الاهانة والاعراض عنهم، وثانياً بانه لم يسمع من رأيهم، وتمت الهزيمة عليهم لاضرباً بالسيف ولاطعنا بالرمح، وقتل الفرنج من المسلمين الوفاً وغنموا ما في المعسكر من الأموال والاقوات والدواب والمسلحة، فصلحت بها حالهم، وعادت إليهم قوتهم.

وفي تاريخ المؤيد [صاحب حماة] فقتلوا من المسلمين ما يزيد على مائة ألف انسان، وسبوا السبي الكثير.

وفي تاريخ العظيمي: لما اجتمع كربوغا مع الامراء المذكورين وجمعوا عساكر عظيمة مقدار اربعمائة ألف انسان، ساروا فوجدوا ان انطاكية قد فتحت سلمها اليهم فيروز الارمني، وكان من جملة المتحفظين على الأبراج، وسمع بانكسار المسلمين يوم الثلاثاء السادس عشر من رجب من هذه السنة، وكان قد ملك انطاكية من الافرنج بيمند، وكان قد صنع مناماً، ودفن سنانا في بعض الكنائس، وقال للافرنج: رأيت المسيح في هذه الليلة يقول لي: اخرج فانك تكسر المسلمين، فقلت: ما يصدقني الافرنج، فقال: خذ السنان في الموضع الفلاني وركبه في قنطاريتك ولاقهم بها تكسرهم، فبادر الافرنج إلى ذلك الموضع واستخرجوا السنان منه وخرجوا إلى المسلمين وكسروهم.

### الرابع في توجه الفرنج الى معرة النعمان وحمص:

ثم لما فرغوا من امر المسلمين في ارض انطاكية توجهوا إلى المعرة فنازلوها وحاصروها، واخذوا عليهم النقب ووضعوا السلايم والأبراج الخشب، فصعدوا عليها فملكوها ووضعوا في المسلمين السيف ثلاثة أيام، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وسبوا وفتكوا، وأقاموا أربعين يوماً، ثم رحلوا إلى حمص فصالحهم جناح الدولة حسين على مال، ثم ساروا إلى عرقة فحاصروها أربعة أشهر، فصالحهم صاحب شيزر ابن منقذ على مال ثم على طريق النواقر إلى عكا، فلم يقدرها عليها.

وفي تاريخ ابن كثير: قتل الافرنج في معرة النعمان وبلادها ما يزيد على مائة ألف انسان وسبوا سبياً كثيراً، ولما بلغ هذه الحال السلطان بركياروق، شق ذلك عليه وكتب إلى الامراء ببغداد ان يتجهزوا صحبة الامير ابن جهير لقتال الافرنج، فبرز بعض الجيش إلى ظاهر البلد

بالجانب الغربي، ثم انفسخت هذه العزيمة لانه بلغهم ان الافرنج في الف الف مقاتل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

### الخامس في توجه الفرنج إلى القدس:

ذكر بيبرس في تاريخه ان في هذه السنة حاصر الافرنج البيت المقدس وكانوا قد ملكوا الرملة قبل.

وذكر المؤيد وابن كثير في تاريخيهما حصر الافرنج القدس في السنة الثانية والتسعين بعد الأربعمئة، وأنهم ملكوه يوم الجمعة ضحى، لسبع بقين من شعبان سنة اثنتين وتسعين، وهم كانوا في ألف ألف.

وقال بيبرس في تاريخه: وفي سنة احدى وأربعمئة حاصر الافرنج البيت المقدس، وكانوا أخذوا الرملة، فلما علم الوزير الأفضل خرج بعساكره من مصر، فلما علم الفرنج بخروجه جدوا في الحصار، فملكوها قبل وصوله، وهدموا المساجد وقبر ابراهيم الخليل عليه السلام، وأحرقوا المصاحف وأخذوا من الصخرة من الآلات والقناديل الذهب والفضة وغيرها مالا يحصى، فوصل الأفضل إلى عسقلان وسير رسله إليهم يؤنبهم بما فعلوه، فساروا إلى عسقلان وهجموا على عسكر الأفضل فهزموهم، فدخل الأفضل وبعض العساكر عسقلان، ووقع القتل في المسلمين والنهب في أثقالهم، وانهمز الأفضل إلى مصر في البحر وذلك في شعبان من سنة احدى وتسعين وأربعمئة.

وقال العظيمي في تاريخه: فتح الافرنج معرة النعمان في المحرم من سنة اثنتين وتسعين واربعمئة، ثم تحولوا إلى كفر طاب، ثم إلى حماة فلم يقدروا عليها، ثم تحولوا إلى القدس ففتحوها من أيدي المصريين، وملك القدس الملك الذي اسمه الكندفري — عليه اللعنة — وأحرقوا كنيسة

اليهود، ونزلت عساكر مصر مع الأفضل وزير مصر فكسروهم الأفرنج على عسقلان.

وفي تاريخ المؤيد: وكان تاج الدولة تُشس قد اقطع بيت المقدس ؤ للأمير أرتق، فلما توفي صارت القدس لولديه ايلغازي وسقمان ابني ارتق حتى خرج عسكر خليفة مصر فاستولى على القدس بالامان في شعبان سنة تسع وثمانين واربعائة، وسار سقمان واخوه ايلغازي من القدس، فأقام سقمان ببلد الرها، وسار ايلغازي إلى الفرات، وبقيت القدس في ايدي المصريين إلى الآن فقصدها الأفرنج وحصروها نيفاً واربعين يوماً وملكوها يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان من سنة اثنتين وتسعين وأربعائة، ولبت الأفرنج يقتلون في المسلمين بالقدس اسبوعاً.

### السادس فيما فعله الأفرنج في القدس الشريف:

قال ابن الجوزي: وقد اخذوا من حول الصخرة اثنين واربعين قنديلاً من فضة، كل قنديل منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وتنورا من فضة زنته أربعون رطل بالشامي، وثلاثة وعشرين قنديلاً من ذهب، وذهب الناس على وجوههم هارين من الشام إلى العراق مستغيثين من الأفرنج إلى الخليفة والسلطان، ومنهم القاضي بدمشق أبو سعيد الهروي، فلما سمع الناس ببغداد بذلك الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا، وقد نظم أبو سعيد الهروي كلاماً قرئ على المنابر فجهر الناس بالبكاء، وقد ترك الخليفة الفقهاء إلى الخروج ليحرضوا الملوك على الجهاد، فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في الناس، فلم يفد ذلك شيئاً، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي تاريخ بيبرس: وفي سنة اثنتين وسبعين وأربعائة ورد المنهزمون من الشام في شهر رمضان إلى بغداد وصحبتهم القاضي أبو سعيد الهروي لائذين بحرم الخلافة من الأفرنج شاكين ما فعلوه بالقدس الشريف

وماحوله، فأورد في ديوان الخلافة كلاماً أبكى العيون وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا، وذكروا ما دهم المسلمين بذلك البلد الشريف العظيم من قتل الرجال وسبي الحرير والاولاد، ونهب الاموال، ولشدة ما أصابهم افطروا، فأمر الخليفة ان يسير القاضي أبو محمد الدامغاني، وأبو بكر الشاشي، وأبو القاسم الزنجاني، وأبو الوفاء ابن عقيل، فاعتذر القاضي بكر سنه، والزنجاني بمرضه، وتمنع الشاشي، وسار أبو الوفاء ابن عقيل، وأبو سعيد الحلواني، وأبو الحسين ابن السماك، فساروا إلى حلوان، فبلغهم قتل مجد الملك البلائيسي، فعادوا من غير بلوغ أرب، وأخلف السلاطين، فتمكن الفرنج من البلاد، فقال المظفر الأيوبردي في هذا المعنى أبياتاً:

مزجناد ما بالدموع السواجم  
فلم نبق الا عرضة للمراحم  
وشر سلاح المرء دم مع يفيضه  
اذا الحرب شبت نارها بالصوارم  
فايها بنبي الاسلام ان وراءكم  
وقائع يلحقن الذرى بالمناسم  
وكم نومة في ظل امن وغبطة  
وعيش كنوار الجميلة ناعم  
وكيف تنام العين ملء جفونها  
على هفوات ايقظت كل نائم  
واخوانكم بالشام يضحى مقلهم  
ظهور المذاكي او بطون القشاعم  
تسومهم الروم الهوان وانتم  
تجرون ذيل الخفض فعل القوادم  
وبين اختلاف الطعن والضرب وقفة  
يظل لها الولدان شيب القوادم  
وتلك حروب من يغيب عن غمارها  
ويسلم يقرع بعدها سن نادم

سللن بأيدي المشركين قواضبا  
ستغمد منهم في الكلى والجماجم  
يكاد لهن المستجن بطيئة  
ينادي بأعلى الصوت يال هاشم  
ارى امتي لا يشرعون الى العدا  
رما همهم والدين واهي الدعائم  
ويجتنبون النار خوفا من الردى  
ولا يحسبون العار ضريبة لازم  
أيرضى صناديد الاعارب بالاذى  
وتغضي على ذل كفاة الاعاجم  
فليتهم اذ لم يذودوا حمية  
عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم  
وان زهدوا في الاجر اذ همى الوغى  
فهل اتوه رغبة في المكارم  
لئن اذعنت تلك الخياشيم للثرى  
فلا عطسوا الا باجدع راغم  
دعوناكم والحرب ترنو ملحمة  
اليناب الحاظ النسور القشاعم  
تراقب فينا غارة عريية  
تطيل عليها الروم عض الاباهم  
فان انتم لم تغضبوا بعد هذه

رمينا الى اعدائنا بالجرائم (١)

وجرى ذلك كله باشتغال السلطان بركياروق والاتراك بعضهم  
يبعض مع السلطان محمد على ما سنذكره في السنة الآتية ان شاء الله  
تعالى....

## فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الثالثة والتسعين بعد الاربعمائة

ذكر ماجرى على بيمند الفرنجي من ابن الدانشمند:

وابن الدانشمند هذا اسمه كمشتكين، وانما سمي ابوه بالدانشمند لانه كان معلماً للتركمان، والمعلم عندهم اسمه الدانشمند، وكان اسمه فتقلبت الأحوال بابن الدانشمند حتى ملك ملطية وسيواس وغيرهما، وقصده الفرنج مع مقدمهم بيمند في خمسة آلاف فلقبهم ابن الدانشمند بالقرب من ملطية، وقاتل معه قتالاً شديداً، فهزمه وظفر المسلمون بالفرنج، وأسر بيمند، فاجتمع الفرنج وارادوا الخليصة ولم يقدرُوا.

وفي تاريخ ابن كثير: وفي هذه السنة اقبل ملك الافرنج في ثلاثمائة الف مقاتل، فالتقى كمشتكين المعروف بالدانشمند.

قال ابن كثير: واظنه اتابك الجيوش بدمشق الذي يقال له امين الدولة، واقف الامينية التي بدمشق وبصرى، لا التي بيبلك، فهزم الافرنج وقتل منهم خلقاً بحيث لم ينج منهم إلا ثلاثة آلاف واكثرهم جرحى، وذلك في ذي القعدة، ولحقهم إلى ملطية فملكها واسر ملكها.

قلت: الظاهر بل الصحيح ان هذه القضية مع الفرنج غير القضية التي ذكرناها، وان كمشتكين الذي ذكره ابن كثير ان هو ذاك الذي ذكرناه آنفاً، فليس يقال له ابن الدانشمند، فافهم.

وفي تاريخ بيبرس: ثم ان الأفرنج بعد انكسارهم من ابن الدانشمند ساروا الى قلعة تسمى انكوريا<sup>(٢)</sup> فاخذوها، وقتلوا من بها من المسلمين، وساروا الى قلعة اخرى فيها اسماعيل بن الدانشمند وحصروها، فجمع جمعا كثيرا وقاتلهم وجعلهم كميناً فخرج عليهم الكمين فقتلهم وهزمهم

وكانوا ثلاثة آلاف فلم يفلت منهم سوى ثلاثمائة مجرحين.

## ذكر بقية الحوادث

منها: ان جماعة من اهل الشام اتوا مصر هربا من الأفرنج والغلاء والوباء، ومات بمصر في هذه السنة خلق كثير.

## فصل فيما وقع من الحوادث في السنة السابعة والتسعين بعد الاربعائة

### ذكر ماجرى من الفرنج:

وفي صفر منها أغار الفرنج من الرها على سرح الرقة وقلعة جعبر، فاستاقوا المواشي، وأسروا من وقع في أيديهم من المسلمين، وكانت جعبر والرقة لسالم بن مالك سلمها إليه السلطان ملكشاه.

وفي المرأة خرجت الأفرنج من الرها وانقسموا قسمين: قسم قصدوا حران، والآخر الرقة، ونزل سقمان بن أرتق من ماردين، وكان سالم بن بدران العقيلي في بني عقيل نازلا على عين العروس فالتقوه واقتلوا قتالا شديدا، واسر سالم بن بدران، وكانت الدائرة على الأفرنج، فانهمزوا وقتل منهم خلق كثير.

وفي تاريخ بيبرس: وفيها غزا سقمان وجكرمش الأفرنج، فلما استطال الأفرنج بما ملكوا من البلاد التي هي للمسلمين باشتغال عساكر الاسلام وملوكهم بقتال بعضهم بعضا، وكانت حران لقراجا، أحد مماليك ملكشاه، فاستخلف عليها محمد الأصفهاني، فعصى عليه، وقعد في بعض الأيام في مجالس الشراب فلما سكر قتله مملوك يسمى جاولي من مماليك قراجا، فعند ذلك سار الأفرنج إلى حران وحصروها، فلما

سمع سقمان صاحب ماردين وغيرها وجكرمش اجتمعا وسارا إلى الخابور، وكان مع سقمان سبعة آلاف فارس، ومع جكرمش ثلاثة آلاف فارس من الترك والعرب والأكراد، فالتقوا على نهر البليخ فاقتتلوا قتالا شديداً، فأظهر أهل الاسلام الانهزام، فتبعهم الفرنج نحو فرسخين، فعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاءوا، وامتلت أيدي العسكر من الغنائم، لان سواد الافرنج كان قريبا، وكان معهم يميند صاحب أنطاكية، وطنكري صاحب الساحل قد انفردوا وراء جبل ليأتوا المسلمين من وراء ظهورهم، فلما خرجا رأيا الافرنج منهزمين فانهزموا معهم، فتبعهم المسلمون وقتلوا من أصحابهم كثيراً، وأفلتت في ستة من الفرسان، وكان القمص بردويل صاحب الرها معهم فأسر وجاءوا به إلى الموصل، ففدى نفسه بخمسة وثلاثين ألف دينار ومائة وستين اسيراً، وكانت عدة القتلى من الافرنج والاسرى اثني عشر ألف رجل، ثم رحل جكرمش إلى حران فتسلمها وعدة حصون.

وفي تاريخ ابن كثير: وفيها قصد الأفرنج - لعنهم الله - الشام، فقاتلهم المسلمون فقتلوا خلقاً كثيراً.

وفي تاريخ النويري: وفيها سار صنجيل - وقد وصله مدد الفرنج من البحر - إلى طرابلس فحاصرها وتسلمها بالأمان، ثم سار إلى عكا ووصل إليه جمع من القدس فحاصروها، وكان الوالي فيها من جهة خليفة مصر زهر الدنيا نبأ، وجرى بينهم قتال عظيم، وآخر الامر ان الافرنج ملكوها بالسيف وفعلوا بأهلها الأفعال الشنيعة، وهرب نبأ إلى الشام ثم إلى مصر، ثم إن الافرنج قصدوا حران، فانفق جكرمش وسقمان بن أرتق والتقيا مع الافرنج على نهر البليخ، فذكره إلى آخر ما ذكره الآن.

وفي المرأة: وفيها نزل بغدوين وقيل بردويل صاحب القدس على عكا في البر والبحر في نيف وتسعين مركباً فحاصروها من جميع الجهات،

وقاتل أهلها حتى ضعفوا عن القتال، وكان واليها زهر الدولة الجيوشي، فعجز عنهم وطلب الأمان له وللمسلمين الذين بها، فلم يعطوه وأخذوها بالسيف في رمضان وقيل في شعبان، وجاء زهر الدولة منهزماً إلى دمشق، فأحسن إليه اتابك طغتكين، ثم مضى إلى مصر.

وفي المرأة أيضاً: وفيها في رجب وردت مراكب الافرنج اللاذقية مشحونة بالمقاتلة في البحار، فنزلوا على طرابلس مع صنجيل، وأقاموا أياماً ورحلوا إلى جبيل، فأمنوا أهلها ودخلوها، ثم غدروا بأهلها فقتلوهم، وكان صنجيل صاحب أنطاكية<sup>(٣)</sup> قد بنى على طرابلس حصناً ليأخذ به طرابلس وشحنه بالرجال والأموال والسلاح، فخرج القاضي ابن عمار في عسكره في ذي الحجة وهجم الحصن على غره فقتل من فيه ونهبه وأخذ منه المال والسلاح، والمتاع وكل شيء فيه، وهدمه وعاد إلى طرابلس سالماً غانماً.

### ذكر بقية الحوادث:

منها ان بلك بن بهرام بن أرتق، وهو ابن أخي ايلغازي شحنة بغداد استولى على مدينة عانة الحديثة، وكان له مدينة سروج، فأخذها الفرنج منه، فسار عنها إلى عانة وأخذها من بني يعيش بن عيسى، فقصد بنو يعيش صدقة بن مزيد فاسترجعها منه في المحرم، وسلمها إلى أصحابها...

### ذكر من توفي فيها من الأعيان

شمس الملوك أبو نصر دقاق بن تاج الدولة تُشُّ بن السلطان ألب ارسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق السلجوقي صاحب دمشق، توفي في ثامن عشر شهر رمضان من هذه السنة ودفن بمسجد

قبة الطواسين بظاهر دمشق الذي على ظهر بردى، وكان قد حصل له مرض تطاول به وقيل إن أمه سمته في عنقود عنب فلما توفي قام بالملك ظهير الدين أبو منصور طغتكين، وكان أتابكه وتزوج بأمه في حياة أبيه، وزوجه أياها، وهو عتيق تتش المذكور.

وقال النويري: لما توفي الملك دقاق صاحب دمشق خطب طغتكين الأتابك بدمشق لابن دُقاق وكان طفلا عمره سنة واحدة، ثم قطع خطبته وخطب لبكتاش بن تتش عم هذا الطفل في ذي الحجة، ثم قطع خطبة بكتاش وأعاد خطبة الطفل، واستقر طغتكين في ملك دمشق إلى سنة اثنتين وعشرين وخمسةائة - والله أعلم - وأحسن مع الناس السيرة، وبث فيهم العدل.

وفي المرأة: وفي هذه السنة عرض لدقاق صاحب دمشق مرض تطاول به، ووقع معه تخليط في الغذاء فأوجب انتقاله إلى علة الدق، فإزال به حتى أشفى، فلما وقع اليأس عن برؤه وانقطع الرجاء من عافيته تقدمت إليه والدته الخاتون صفوة الملوك بأن يوصي بها في نفسه ولا يترك أمر الدولة وولديه سدى، فنص على أتابك طغتكين والحضانة لولده الصغير تتش بن دقاق حتى يكبر، ويتولى طغتكين أمور دمشق، وأعمال دقاق، وتوفي في اليوم الثالث والعشرين من رمضان ودفن على الشرف الشمالي بدمشق بالخانكاه التي يقال لها قبة الطوايس، وبعد قليل توفي تتش بن دقاق الذي اوصى بالملك إليه، ودُقاق بضم الدال المهملة وبالقافين بينها ألف.

## فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الثامنة والتسعين بعد الأربعمائة:

استهلت هذه السنة والخليفة هو المستظهر بالله، ومات فيها السلطان  
بركياروق، والأمير اياز، والأمير سقمان، وصنجيل ملك الأفرنج،  
فلنذكرهم واحدا واحدا.

الأمير سقمان بن أرتق مات في هذه السنة، وسبب ذلك ان فخر  
الدولة ابن عمار صاحب طرابلس كان قد كاتب سقمان يستدعيه الى  
نصرته على الأفرنج، وبذل له المعونة بالمال والرجال، فبينما هو يتجهز  
للمسير إذا أتاه كتاب الاتابك طغتكين صاحب دمشق يخبر أنه مريض  
قد أشفى على الموت، وأنه يخاف وليس بدمشق من يحميها من الأفرنج،  
ويستدعيه ليوصي اليه بما يعتمده في حفظ البلاد، فلما سمع ذلك اسرع  
في السير عازما على أخذ دمشق، فلما وصل القريتين مات بالخوانيق،  
وحمله أصحابه وعادوا به إلى حصن كيفا.

وفي تاريخ المؤيد: وفي هذه السنة توفي سقمان بن [ارتق بن] أكسب -  
بالباء الموحدة - وقيل اكسك - بالكافين - وهو الأصح، وكانت وفاته  
في القريتين في صفر من هذه السنة، وقام ابنه ابراهيم موضعه، وحمل  
سقمان في تابوت إلى حصن كيفا فدفن به، ولما مات سقمان كان مالكا  
لحصن كيفا وماردين.

أما ملكه لحصن كيفا فقد ذكرناه من تسليم موسى التركماني صاحب  
الموصل لما استنجد به على جكرمش، وأما ملكه لماردين فهو أنه كان  
السلطان بركياروق وهبها هي وأعمالها لانسان مغن، ووقع حرب بين  
كربوغا صاحب الموصل وبين سقمان، وكان مع سقمان ابن أخيه ياقوتي  
وعهاد الدين زنكي بن آق سنقر، وهو إذ ذاك صبي، فانهمز سقمان وأخذ

ابن أخيه ياقوتي أسيراً، فحبسه كبروغا في قلعة ماردين، وبقي مدة، فمضت زوجته أرتق الى كربوغا وسألته في اطلاق ابن ابنها ياقوتي، فأجابها كربوغا إلى ذلك، وأطلقه، فأعجبت ياقوتي ماردين؛ وأرسل يقول لصاحبها المغني: إن أذنت لي سكنت في رُبض قلعتك وجيت إليها الكسوبات وحميتها من المفسدين، ويحصل لك بذلك النفع فأذن له المغني بالمقام في الربض، فأقام ياقوتي بما ردين وجعل يغير من باب أخلاط إلى بغداد، ويستصحب معه حفاظ قلعة ماردين ويحسن إليهم ويؤثرهم على نفسه، فإطمأنوا إليه وسار مرة ومعه أكثرهم فقبضهم وقيدهم وأتى الى باب قلعة ماردين ونادى من بها من أهليهم وقال: إن فتحتم الباب وسلمتم الي القلعة وإلا ضربت أعناقهم جميعهم، فامتنعوا فأحضر واحدا منهم وضرب عنقه ففتحوا الباب له، وتسلم ياقوتي القلعة وأقام بها، ثم جمع ياقوتي جمعا وقصد نصيين ولحقه مرض حتى عجز عن لبس السلاح وركوب الخيل، وحمل الى فرسه وركبه، فأصابه سهم فسقط ياقوتي منه ومات، ثم ملك ماردين بعده اخوه علي وصار في طاعة جكرمش صاحب الموصل، واستخلف علي ماردين بعض أصحابه، وكان اسمه عليا ايضا، فأرسل علي يقول لسقمان: إن ابن أخيك يريد ان يسلم ماردين الى جكرمش فسار سقمان بنفسه وتسلم ماردين، فطالبه ابن اخوه علي باعادتها اليه فلم يفعل سقمان ذلك، واعطاه جبل جور عوضها، واستقرت ماردين وحصن كيفا لسقمان حتى سار إلى دمشق ومات بالقريتين، فصارت ماردين لأخيه ايلغازي بن ارتق، واستقرت لولده - قال المؤيد - إلى يومنا هذا، وهو سنة خمس عشرة وسبعائة.

صنجيل ملك الأفرنج: هلك في هذه السنة، وكان صاحب أنطاكية، وكان قد صالح ابن عمار صاحب طرابلس وهادنه على ان يكرن لصنجيل ظاهر طرابلس، ولا يقطع الميرة والمسافرين عليها.

وفي تاريخ ابن كثير: هلك صنجيل في سنة تسع وتسعين وأربعمائة، وقال: وفي هذه السنة - أعني سنة تسع وتسعين - هلك صنجيل عليه اللعنة في مدينة جبلة، وذلك أنه ملكها في هذه السنة - أعني سنة تسع وتسعين - ثم سار وأقام على طرابلس يحصرها، وبني بالقرب منها حصنا وبني تحته ريبضاً، وهو المعروف بحصن صنجيل، فخرج الملك إيسن عمار، صاحب طرابلس، فاحرق الريبض، ووقف صنجيل على سقوفه المحترقة فانخسفت به، فمرض من ذلك عشرة ايام، وهلك وحمل الى القدس ودفن فيها، وقام بالحصار بعده ابنه، ودام الحرب بين أهل طرابلس والأفرنج خمس سنين، وظهر من صاحبها ابن عمار صبر جميل، وقلت الأقوات بها، وافتقرت الأغنياء.

وذكر بيبرس في تاريخه هلاكه في السنة الآتية وقال: لما احرق ابن عمار ريبض الحصن الذي بناه صنجيل عامه ذلك، فمرض ومات. وأمر ملك الروم أصحابه الذين باللاذقية أن يحملوا الميرة إلى الذين يحاصرون طرابلس، فخرج إليهم اسطول طرابلس فجرى بينهم قتال شديد، فأخذوا الميرة والمراكب فتقوا بها إلى ان ملك السلطان محمد البلاد.

### ذكر بقية الحوادث:

منها انه كانت حروب كثيرة بين عساكر مصر والأفرنج فقتلوا منهم خلقا كثيرا.

وفي تاريخ بيبرس: وسبب ذلك ان الافضل وزير مصر، كان قد سير ولده شرف المعالي في السنة الماضية إلى الساحل، فقهر الافرنج وأخذ الرملة، ثم اختلف المصريون والعرب وادعى كل واحد منهما ان الفتح له، فأتاهم سرية من الافرنج فتقاعد كل فريق منهما عن الآخر، وكاد الافرنج ان يظهروا عليهم، فرحل شرف المعالي إلى والده بمصر، ثم سير

ولده سناء الملك حسين في جماعة من الأمراء، منهم: جمال الملك نائب عسقلان، وأرسلوا إلى طغتكين أتابك دمشق يستنجدونه، فأرسل إليهم اصبهذ صبارو ومعه ألف وثلاثمائة فارس، وكان المصريون خمسة آلاف فارس، فقصدهم بردويل صاحب القدس وعكا ويافا في ألف وثلاثمائة فارس وثمانية آلاف راجل، فوقع المصاف بينهم بعسقلان ويافا، فلم تظهر إحدى الطائفتين على الأخرى، فقتل من المسلمين ألف ومائتان، ومن الفرنج مثلهم، وقتل جمال الملك صاحب عسقلان، فعند ذلك وضعوا الحرب وعادوا إلى عسقلان وعاد اصبهذ صبارو إلى دمشق، وكان مع الأفرنج من المسلمين بكتاش بن تشش، وكان طغتكين قد عدل عنه بالملك إلى ولد أخيه دقاق وهو طفل، فدعاه ذلك إلى قصد الفرنج والركوب معهم.

ومنها: أنه كانت وقعة بين تنكري صاحب أنطاكية وبين الملك رضوان صاحب حلب، وسببها ان تنكري حاصر حصن أرتاح وبه نائبه، فأرسل إلى الملك رضوان يعلمه ويطلب النجدة، فسار رضوان في عسكر كثير من الرجالة والخيالة تقدير عشرة آلاف، فلما قرب من الأفرنج ورأى تنكري كثرة المسلمين أرسل إلى رضوان يطلب الصلح، فأراد ان يجيب فمنعه أصبهذ صبارو وكان قد قصده وسار معه بعد قتل اياز، فامتنع من الصلح، واصطفوا للحرب، فانهزمت الأفرنج من غير قتال، واشتغل المسلمون بالنهب فعاد الأفرنج فحملوا على المسلمين، فلم يشبوا وانهزموا، وقتل من المسلمين خلق كثير مقدار عشرة آلاف نفس، وفتح المسلمون الحصن وأخلوه وتوجهوا إلى حلب فملكه الأفرنج، وهرب أصبهذ إلى طغتكين أتابك دمشق فصار في خدمته.

ومنها أنه كان استيلاء الأفرنج على عكا، وذلك ان بردويل ملك الأفرنج سار بجموعه إلى ثغر عكا ومعه الجنويون من الفرنج في المراكب، فأحدقوا بها برا وبحرا وحاصروها وملكوها بالسيف، وكان

متوليها حيثئذ زهرة الدولة الجيوشي من جهة صاحب مصر، فخرج منها هاربا إلى دمشق.

ومنها أنه جرت وقعة بين طغتكين الأتابك وبين الفرنج، فكسر طغتكين الأفرنج على بعلبك وفتح رفيه وهدم أبرجتها.

## فصل فيما وقع من الحوادث في السنة التاسعة والتسعين بعد الأربعمائة

### ذكر ما جرى بين المسلمين والأفرنج من الحروب والوقائع:

منها انه كانت الحرب بين طغتكين متولي دمشق وبين الفرنج ، فتارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، ففي آخر الأمر بنى بردويل حصنا بينه وبين دمشق فخاف طغتكين من عاقبة ذلك، فجمع عسكره وخرج ليقاتلهم ويقدم إليهم، فاقتلوا قتالا شديدا وفيهم ملكهم القمص، فكانت الهزيمة على الأفرنج، فتبعهم طغتكين بالقتل والأسر إلى أن دخلوا الحصن الذي لهم، فحاصره طغتكين وأخذه بالسيف، وقتل كل من كان فيه، واستبقى من الفرسان مائتي فارس في الأسر، وعاد طغتكين إلى دمشق مؤيدا منصورا، فزين البلد سبعة أيام.

ومنها ان الفرنج ملكوا في هذه السنة حصن أفامية من بلاد الشام، وسبب ذلك أن خلف بن ملاعب الكلابي، كان قد تغلب على حمص، وكان الضرر به عظيما، ورجاله كانوا يقطعون الطريق فكثرت الحرامية عنده فأخذها منه تتش بن ألب أرسلان وأبعده عنها، وتقلبت به الأحوال إلى أن دخل مصر فلم يلتفت إليه من بها، فإن المتولي بأفامية من جهة الملك

رضوان أرسل إلى صاحب مصر، وكان يميل إلى مذهبهم، فاستدعى من يسلم إليه الحصن منهم، وهو من أمنع الحصون، فطلب ابن ملاعب أن يكون هو المقيم به، وقال: إني راغب في قتال الأفرنج ومؤثر للجهاد، فسلموه إليه واخذوا رهائنه، فلما ملك خلع طاعتهم، وأرسلوا إليه يتهددونه بما فعل بولده الذي عندهم، فأجاب الجواب.. إني لا أنزل من مكاني وابعثوا إلي بعض أعضاء ولدي حتى آكله حتى أيسوا من رجوعه إلى الطاعة، وأقام بأفامية يقطع الطريق، ويخيف السبيل، واجتمع عنده كثير من المفسدين، فكثرت أمواله، ثم إن الفرنج ملكوا سرمين وهي من أعمال حلب، وأهلها يتغالون في التشيع، فلما ملكها الأفرنج تفرق أهلها وتوجه القاضي إلى ابن ملاعب وأقام عنده، فأكرمه واحبه ووثق به، فأعمل الحيلة إليه، وكتب إلى أبي طاهر المعروف بالصائغ، وهو من أعيان الملك رضوان، ووجوه الباطنية ودعاتهم بالفتك بابن ملاعب وأن يسلم أفامية إلى الملك رضوان، فأتى أولاد ابن ملاعب إليه، وكانوا قد تسللوا من مصر وقالوا له: قد بلغنا عن القاضي كذا وكذا، والرأي أن تعاجله وتحتاط لنفسك فإن الأمر قد اشتهر، وأحضره ابن ملاعب فأثابه وفي يده المصحف لأنه رأى امارات الشر فقال: أيها الأمير قد علم كل أحد أني جئتكم خائفا فأممتني وأعتنتني فصرت ذا مال وجاه، فإن كان أحد ممن يحسدني منزلتي عندك وماغمرتني به من نعمتك سعى بي إليك، فأسألك ان تأخذ جميع ما معي وأخرج كما جئت، فحلفه على الوفاء له والنصح وخلي سبيله، وأعاد القاضي مكاتبته إلى أبي طاهر الصائغ وأشار عليه ان يوقف ثلاثمائة رجل من أهل سرمين وينفذ معهم خيلا من خيول الأفرنج من رؤسائهم، ويأتون إلى ابن ملاعب ويظهرون أنهم غزاة، ويشكون من معاملة رضوان وأصحابه وأنهم فارقوه، فلقيتهم طائفة من الأفرنج فظفروا بهم، وكانوا قد اتفقوا على أنهم يحملون جميع ما معهم إليه، فإذا أذن لهم في المقام اتفقت آراءهم على أعمال الحيلة ففعل الصائغ ذلك، ووصل القوم إلى أفامية وقدموا إلى ابن

ملاعب مامعهم من الخيل فقبل ذلك منهم، وأمرهم بالمقام عنده وأنزلهم في ربض أفامية، فلما كان في بعض الليالي نام الحرس بالقلعة فقام القاضي ومن بالقلعة من أهل سرمين ودلوا الحبال وأصعدوا أولئك القادمين جميعهم وقصدوا ابن ملاعب وبني عمه ليقتلوهم، وأتى القاضي ومعه جماعة إلى ابن ملاعب فأحس به، فقال: من أنت؟ فقال: أنا ملك الموت جئت لأقبض روحك وقتل أصحابه، وهرب ابنه فلحقا بأبي الحسن بن منقذ صاحب شيزر.

ولما سمع الصائغ خبر أفامية سار إليها وهو لا يشك أنهاله، فقال له القاضي: إن وافقتني وأقمت معي فعلى الرحب ونحن نحكمك وإلا فارجع من حيث جئت، فأيس منه، وكان أحد أولاد ابن ملاعب بدمشق عند طغتكين غضبان فهرب إلى الأفرنج واستدعاهم إلى أفامية، وقال لهم: ليس فيها قوت غير شهر واحد، فأقاموا عليها يحاصرونها، فجاع أهلها فملكها الأفرنج وقتلوا القاضي المتغلب عليها والصائغ، وكان هذا هو الذي أظهر مذهب الباطنية بالشام...

## فصل فيما وقع من حوادث في السنة الثانية بعد الخمسةائة

ذكر ما فعله الأفرنج لعنهم الله:

منها ان طنكريد فتح حصن بانياس وسلمه إلى المازورين.

ومنها ان الأفرنج اخذوا طرابلس في هذه السنة، وقيل في السنة الآتية، اجتمع عليها ملكهم يميند بن صنجييل في ستين مركبا في البحر مشحونة بالمقاتلة، وطنكريد صاحب أنطاكية، وبغدوين صاحب القدس وشرعوا في قتالها وضايقوها من أول شعبان إلى حادي عشر ذي الحجة، وايقنوا بالهلاك مع تأخر الاسطول عنهم من مصر، وكان كلما سار

الاسطول نحوهم دفعته الريح إلى جهة مصر، فلما كان في يوم الاثنين هجمها الأفرنج ونهبوها، وأسروا رجالها وسبوا نساءها، وساروا إلى جبلة وبها فخر الملك ابن عمار، فتسلموها بالأمان في الثاني والعشرين من ذي الحجة، وخرج منها ابن عمار سالماً، ووصل حينئذ الاسطول المصري، وجاء ابن عمار إلى شيزر، فأكرمه صاحبها علي بن منقذ واحترمه وعرض عليه المقام عنده فأبى وتوجه إلى دمشق فأكرمه طغتكين صاحب دمشق وانزله في داره، وأقطعه الزبداني وأعماله، ووقعت مهادنة بين بغدوين صاحب القدس وبين طغتكين صاحب دمشق على أن يكون السواد وجبل عوف مثالثة: الثلث للأفرنج، والثلث للمسلمين.

ومنها أنه كانت الحرب بين طغتكين صاحب دمشق والأفرنج.

ومنها أن طغتكين سار إلى طبرية وقد وصل إليها ابن أخت بردويل صاحب القدس فتحاربوا واقتتلا، وكان طغتكين في ألفي فارس وكثير من الرجال، وكان الأفرنجي في أربعمئة فارس وألفي رجل، فلما اشتد القتال انهزم المسلمون ونادى طغتكين: يا للمسلمين فشجعهم فعادوا للحرب وكسروا الأفرنج، وأسر ابن أخت الملك وحمل إلى دمشق فعرض عليه طغتكين الأسلام فامتنع وبذل في نفسه مالا ثلاثين ألف دينار، وإطلاق خمسمئة أسير، فلم يقنع طغتكين منه بغير الأسلام، فلما لم يسلم قتله بيده، وأرسل إلى الخليفة والسلطان الأسرى إلى بغداد ثم وقع الصلح بين بغدوين ملك القدس وبين طغتكين على أن تضع الحرب (أوزارها) أربع سنين، وكان ذلك لطف الله بالمسلمين.

ومنها أنه في شعبان انهزم المسلمون من الأفرنج، وسبب ذلك أن حصن عرقة من أعمال طرابلس الشام كان بيد غلام القاضي فخر الملك ابن عمار، فعصى على مولاه، فضاقت به القوات وانقطعت عنه الميرة لطول مكث الأفرنج في نواحيها، فأرسل إلى طغتكين ليرسل إليه من يتسلم

الحصن: فقد عجزت عن حفظه لثلا يأخذه الأفرنج والمسلمون أحق به، فسار إليها فاجتمع الفرنج الذين كانوا يحاصرون طرابلس وغيرها وكسروا طغتكين، وانهمزم المسلمون إلى حمص، فغنم الأفرنج أثقالهم ودوابهم، ثم حصروا عرقة، فطلب من بها الأمان فأمنهم الأفرنج، وكان في الأسر مقدم يسمى اسرائيل، فقالوا له: لانخليك تروح حتى يسير إلينا طغتكين فلانا الأفرنجي بذلك، ففدى به طغتكين واطلقا جميعا.

### ذكر بقية الحوادث:

ومنها في عيد الفصح للنصارى نزل الأمراء بنو منقذ أصحاب شيزر للتفرج على عيد النصارى، فثار جماعة من الباطنية في حصن شيزر فملكوا قلعتها، وبادر أهل المدينة إلى الباشورة وأصعدهم النساء بالحبال من الطاقات وأدركهم الأمراء بنو منقذ، ووقع بينهم القتال فانخذلت الباطنية وأخذهم السيف من كل جانب، فلم يسلم منهم أحد.

ومنها في شوال ملك الأمير سقمان القطبي صاحب خلاط مدينة ميفارقين بالأمان بعد أن حصرها وضيق على أهلها حتى عدت الأقوات فسلموها بالأمان...

ومنها أن الأمير مودود استولى على الموصل هو والعسكر الذين أرسلهم السلطان محمد، وأخذوها من أصحاب جاوي سقاوة، وقد ذكرنا استيلاء جاوي عليها في سنة خمس مائة وما جرى بينه وبين جكرمش والملك قليج أرسلان، وكان سبب غضب السلطان على جاوي أنه كان استولى على البلاد ولم يحمل إليه منها شيئاً، ولما وصل السلطان إلى بغداد لقصد سيف الدولة صدقة أرسل إلى جاوي يستدعيه إليه بالعساكر، وتكررت الرسل إليه فلم يحضر وغالط في الانحذار إليه، فلما فرغ السلطان من أمر صدقة وقتله كما تقدم أمر بتجهيز العساكر لقصد

الموصل فتقدم الى الامراء وهم: بنو برسق، وسقمان القطبي، ومودود، وأقسنقر البرسقي، ونصر بن مهلهل بن أبي الشوك الكردي، وأبي الهيجاء صاحب إربل، بالمسير إلى الموصل وأخذها منه فتوجهوا فوجدوا جاولي عاصيا قد شيد سور الموصل وحصنها، وأعد الميزة والأقوات، فنزلوا عليها. في شهر رمضان من هذه السنة وحاصروها وضايقوها، فلما طال الأمر على الناس اتفق نفر من الجصاصين ومقدمهم يعرف بسعد، فأتوا وقت صلاة الجمعة وصعدوا برجاً وقتلوا الجند الذين به، وأغلقوا بابه ونادوا بشعار السلطان محمد، وطلع مائتا فارس من العسكر فرموهم بالنشاب ونادوا بشعار السلطان، فعند ذلك زحف العسكر من كل مكان على البلد فملكوه ودخله الأمير مودود فنادى بالسكون ورفع النهب وأن يعود الناس إلى دورهم، وأقامت زوجة جاولي بالقلعة ثمانية أيام فراسلت الأمير مودود في أن يفرج لها عن طريقها ويتسلم القلعة فأجاب إلى ذلك، فحلف لها وخرجت إلى أخيها برسق بن برسق ومعها أموالها وما استولت عليه، وولي مودود الموصل وما انضاف إليها.

وأما جاولي فإنه لما وصل عسكر السلطان إلى الموصل خرج عنها وأخذ القمص صاحب الرها الذي كان أسره سقمان وسار به إلى نصيبين وهي للامير إيلغازي بن أرتق، وسأله الاجتماع به واستدعاه إلى معاضدته فلم يجبه إيلغازي الى ذلك، فرحل عن نصيبين وسار إلى ماردين وقصد دار إيلغازي، ولم يشعر الا وجاولي معه في القلعة وحده، وقصد ان يتألفه ويستميله، فلما رآه إيلغازي قام وخدمه، ولما رأى جاولي محسنا به الظن نزل معه وعسكر بظاهر البلد، فسار نحو الرحبة وإيلغازي يظهر لجاولي المساعدة ويبطن الخلاف ويتنظر الفرصة لينصرف عنه، فلما وصلا إلى عربان من الخابور هرب إيلغازي، فسار جاولي إلى الرحبة، فلما وصل ماكسين أطلق القمص الفرنجي واسمه بردويل، وكان صاحب الرها وسروج وكان مقامه في الأسر خمس سنين وقرر عليه أن يفدي نفسه بمال وأن يطلق المسلمين الذين أسرههم وأن

ينصره متى طلبه بنفسه وعسكره، فلما اتفق الحال سير القمص إلى قلعة جعبر فسلمه إلى صاحبها سالم بن مالك، وأقام جوسلين في قلعة جعبر رهينة عن القمص، فلما أطلقه سار إلى أنطاكية فأعطاه طنكريد صاحب أنطاكية ثلاثين ألف دينار وسلاحا وخيلا وغير ذلك، وأطلق القمص من أسارى المسلمين مائة وستين نفرا كلهم من سواد حلب فكساهم وسيرهم، وكان صاحب أنطاكية قد تسلم الرها من أصحاب القمص حين أسر، فلما وصل طلب ردها من صاحب أنطاكية، فلم يفعل، فخرج من عنده غضبانا الى تل باشر، ثم إن جاوли من على جوسلين باطلاقه من الأسر لأنه فدى نفسه بهال، فاجتمعا على تل باشر واتفقا على محاربة صاحب أنطاكية، فسار إليهما بعساكره فاقتلوا وعاد طنكريد إلى بلاده من غير فصل حال، فتوسط البترك بينهما وقال له جماعة من البطارقة والقسيسين: إن ييمند لما أراد ركوب البحر قال ان تعاد على القمص الرها إذا خلص من الأسر، فأعادها عليه في تاسع صفر، وعبر الفرات ليسلم إلى أصحاب جاولي المال، وكان بسروج ثلاثمائة مسلم ضعفاء، ولما أطلق جاولي القمص سار إلى الرحبة، فأتاه أبو النجم بدران، وأبو كامل منصور ابنا سيف الدولة صدقة، وكانا بعد قتل أبيهما عند سالم بن مالك بقلعة جعبر فتعاهدوا على المساعدة والمعاضدة، ووعدهما أن يسير معهما الى الحلة، وعزموا أن يقدموا عليهم بكتاش بن تكش بن ألب أرسلان، فعندما عزموا على هذا الامر وصل إليهم اصهبند صبارو الذي كان قصد السلطان محمدا، واقطعه الرحبة فاجتمع بجاولي وأشار عليه ان يقصد الشام فإن بلاده خالية من الجند، والافرنج قد استولوا على أكثرها، ومتى قصد العراق والسلطان بها لم يأمن من شر يصل اليه، فقبل قوله، وأصعد عن الرحبة، فوصل اليه رسل سالم بن مالك صاحب جعبر يستغيث به من بني نمير، وكانت الرقة بيد ولده علي بن سالم فوثبوا عليه فقتلوه، فبلغ ذلك الملك رضوان صاحب حلب، فسار الى صفين، فصادف في صفين الذين معهم مال القمص صاحب الرها قد

سيره الى جاولي فاخذه واسر الافرنج، واتى الرقة فصالحه بنو نمير على مال فرحل عنهم الى حلب، فاستنجد عند ذلك سالم بن مالك جاولي، فقصد الرقة وحصرها سبعين يوماً، فضمن له بنو نمير مالا وخيلاً، ورحل عنهم، ثم وصل إليه الأمير أتابك، حسين بن قتلغ تكين يأمره بتسليم البلاد، وطيب قلبه عن السلطان، وضمن له كل جميل إذا سلم البلاد، فقال جاولي: سر إلى الموصل ورحل العسكر عنها، وأنا أرسل معك من يسلم ولدي رهينة وينفذ السلطان من يتولى امرها، ففعل حسين ذلك، وسار ومعه صاحب جاولي، فلما وصل إلى العسكر قبض الأمير مودود على صاحب جاولي، وأقام على الموصل حتى فتحها كما ذكرنا، وعاد حسين إلى السلطان فأحسن القول عن جاولي، فسار جاولي إلى مدينة بالس فملكها، وهي من أعمال حلب، فعند ذلك كتب الملك رضوان إلى طنكريد صاحب أنطاكية يعلمه انه قاصد حلب وأنه إن ملكها لا يبقى للافرنج معه مقام بالشام، وطلب منه النصرة والاتفاق على منعه، فأجابه ولحق به وهو بمنبج، فوصل الخبر وهو في هذه الحالة أن الموصل أخذت، واستولى عليها عسكر السلطان، وملكوا خزائنه وأمواله فاشتد ذلك عليه، ففارقه أكثر عسكره، ومنهم أتابك زنكي ويكتاش، وبقي مع جاولي نفر يسير، فلما تقاربوا وتصافوا وكان صاحب أنطاكية في عسكر كثيف من المسلمين والافرنج، فلما وقعت العين على العين لم يثبت لهم جاولي، فانهزم عسكره منهم، وتوجه نحو بلاده، وقتل من المسلمين خلق كثير، ونهبت الأفرنج دوابهم وأموالهم، وأما جاولي فقصد الرحبة، فلما رأى الحال كذلك علم انه لا يقدر يقيم في الجزيرة ولا بالشام، ولا يقدر على شيء يحفظ به نفسه ويرجع إليه غير قصد باب السلطان محمد شاه، وكان واثقاً من الأمير حسين بن قتلغ تكين، فرحل وسار إلى عسكر السلطان، وكان بالقرب من أصفهان، فوصل إليه في سبعة عشر يوماً، لانه جد السير، فلما وصل العسكر قصد الأمير حسينا، فحملة إلى السلطان وكفنه في يده، فأمنه فأتاه الأمراء

يهنونه، وطلب منه السلطان الملك بكتاش بن تكش فسلمه إليه واعتقله بأصفهان...

## فصل فيما وقع من الحوادث في السنة الثالثة بعد الخمسة

ذكر ماجرى من الافرنج لعنهم الله في هذه السنة:

من ذلك ان الافرنج اخذوا مدينة طرابلس وقتلوا من فيها من الرجال، وسبوا الحرير والأطفال وغنموا الأمتعة والأموال، ثم أخذوا مدينة جبيل.

وفي تاريخ بيبرس: وفي سنة ثلاث وخمسة ملكت الافرنج طرابلس وبيروت من الشام، وسبب ذلك انهم حاصروها خمس سنين، فلما طال المقام عليها وصاحبها فخر الملك ابن عمار سار إلى السلطان محمد شاه يستنجده، فلما خرج منها سلمها إلى ابن عمه أبي المناقب، فكتب الأفضل وزير مصر وسلمها إليه كما ذكرنا، وكانت النجدة والميرة تتواصل من مصر والحكم لصاحب مصر وهو نائبه، فلما كان في أول شهر رمضان وصل اسطول كبير، واجتمع عليها ملوك الفرنج، وجاء بيمند بن صنجيل في ستين مركبا وطنكريد صاحب انطاكية وبغدوين صاحب القدس وضايقوها وزحفوا عليها لمساعدة السرداني ابن أخت صنجيل، فلما شاهد ذلك الجند وأهل البلد سقط في أيديهم وذلت نفوسهم لتأخر الاسطول المصري، لتغير الريح اليهم وتعذر الوسول اليهم ( ليقتضي اللـه أمـراً كان مفعولاً ) [الانفال ٤٢] فشد الافرنج عليهم القتال والزحف فهجموا البلد وملكوها قهرا في يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، ونهبوا مافيها واسروا وقتلوا وسبوا النساء والاطفال، ونهبوا

الامتعة والأموال، وسلم الوالي الذي كان فيها وسلم الأموال، وسلم قوم من أهلها وجماعة من جندها كانوا قد التمسوا الأمان، ثم رحلوا الى دمشق، واخذت الافرنج دفائن اهل طرابلس وذخائرهم، وعاقبوا أهلها فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

ولما فرغ الافرنج من طرابلس سار طنكريد صاحب انطاكية الى بلباس وحصرها فافتتحها، ثم نزلوا على جبيل وبها فخر الملك ابن عمار صاحب طرابلس، وكان القوت بها قليلا، فحاصروها وطلب أهلها الأمان فخرجوا منها وملكها الأفرنج في الثاني والعشرين من ذي الحجة، ثم سار فخر الملك الى دمشق وانزله طغتكين عنده فأكرمه واقطعه الزيداني من عمل دمشق، وكان ذلك في المحرم من سنة اربع وخمسة.

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث وخمسة - ملكت الافرنج بيروت، ومقدمهم بغدوين صاحب القدس، ثم ساروا الى صيدا فصالحوهم على ستة آلاف دينار فرحلوا عنها، وسار بغدوين الى القدس.

وفي هذه السنة ايضا سار طنكريد صاحب أنطاكية الى طرطوس واخذها، ثم بعد ذلك قرر على شيزر عشرة آلاف دينار، ثم تسلم حصن الأكراد وعاد الى انطاكية.

وفي تاريخ ابن العميد: وكانت مدة حصار الافرنج سبع سنين، واستولت عليها الافرنج بعد ان فني من فيها من المسلمين من شدة المضايقة والجوع، وكانت مدينة عظيمة مملوءة من المسلمين والعلماء، وملكنا ايضا في هذه السنة حصن عكار، وحصن المنيطرة، وقرروا على حصن مصيات، وحصن الأكراد قطيعة معينة في كل سنة، وفيها ايضا ملكنا الافرنج بيروت بعد حصار شديد.

وفي المرآة: وفي هذه السنة نهضت الأفرنج على ريفية، وعرف أتابك طغتكين فسار بالعسكر وخيم بازائهم بحمص، فلم يقدرُوا على منازل ريفية، وترددت بينهم مراسلات أفضت إلى تقرير المواعدة على أن يكون للأفرنج ثلث مغل البقاع، ويسلم إليهم المنيطرة وحصن عكار، وأن لا يتعرضوا لحصن مصيات وحصن الأكراد وأن يحمل إليهم عنهما مالا، وكذا عن حصن الطوبان، فأقاموا مدة يسيرة، ثم عاد الأفرنج إلى الفساد في البلاد، ونزل بغدوين صاحب القدس وابن صنجيل على بيروت، وسار إليهم جوسلين صاحب تل باشر لمعاونتهم، وجاء الاسطول المصري وفيه الرجال والميرة فدخلوا بيروت فقويت نفوس أهلها، وبعث بغدوين إلى الجنوية فجاءوا في أربعين مركباً فزحفوا برا وبحرا فدخلوها قهراً بالسيف فقتلوا ونهبوا وسبوا وفعلوا كما فعلوا بطرابلس واستصفوا الأموال والذخائر، ثم رحل بغدوين فنزل على صيدا وراسل أهلها بتسليم البلد فاستمهلوا مدة عینوها فأجابهم واخذ منهم مالا، وعاد إلى القدس بسبب الحج.

### ذكر من توفي فيها من الاعيان:

الأمير قراجا صاحب حمص توفي في هذه السنة فملكها بعده رجل يقال له خيرخان... وفي تاريخ ابن العميد: لما مات قراجا صاحب حمص ملكها بعده صمصام الدين خيرخان ولد قراجا، والله أعلم.